المجلة الجزائرية للمخطوطات المجلد 17 / العـدد: 2 جوان 2021 ص: 196–214

توثيق نسبة مخطوط لمؤلِّف مجهول بين نظرية العلم وتقنية العمل

[مخطوط "كشف الغمة عن افتراق الأمة" أنموذجا]

Method of identification of the author or an anonymous Manuscript; a theoretical and practical approach - Application to the Manuscript 'Kashf el Ghoma' ane iftiraq el omma'

أحمد جمال الدين عيمر[1]*

جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان الجزائر.

ahmeddjameleddine.aimeur@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/22 تاريخ القبول: 2021/07/01 تاريخ النشر: 2021/07/25

ملخص:

كثيرا ما تبقى بعض المخطوطات حبيسة الأدراج بالمكتبات والمراكز العلمية لكون مؤلفها مجهولا لا يعرف، مع كون مؤلَّفِه يكون مهما للغاية، بل تكون الحاجة إليه ماسة، فجهالة المؤلف تنقص قدر المخطوط وتزهّد الباحثين في تحقيقه وإخراجه، والمقال الذي بين أيدينا يجيب عن هذه الإشكالية من جانبين: جانب نظري علمي بعرض المسالك المبثوثة في مؤلفات مناهج البحث العلمي ـ القديم منها والحديث ـ للكشف عن هوية مؤلف مخطوط لا يعرف من ألّفه، كما تضمّن المقال جانبا آخر تمثّل في تجربة عملية للكشف عن هوية مؤلف مخطوط بعنوان: "كشف الغمة عن افتراق الأمة"، وهو دارسة عقدية اعتنت بمعالجة ظاهرة الافتراق بين المسلمين، من حيث أسبابها، مظاهرها، تطورها، علاجها.

كلمات مفتاحية: مخطوط، مجهول، مسلك، فهرس، مصدر، كشف، هوية، مكتبة، فرقة، افتراق، عقيدة.

Abstract:

---

*المؤلف المرسل

It often happens that different manuscripts with extreme importance and people's need for them remain closed in the drawers of libraries or scientific centers because of the anonymity of their authors, which becomes then a heavy handicap, discouraging researchers from their study and publication. This article attempts to solve this problem by two different approaches: One, theoretical which draws the solution from ancient and modern scientific works on methodology and research; the goal is to discover the identity of the anonymous manuscripts. The second approach is a practical one and demonstrates how the author succeeded to discover the author of the manuscript bearing the title of 'Kashf el Ghoma 'ane iftiraq el omma' (The dissipation of the embarrassment created by the division of the Nation: this manuscript deals with the question of the division of the Nation, its causes, its aspects, its evolution and finally brings its solutions).

Keywords: Manuscript, anonymous, method, index, source, discovery, identity, library, sect, division, dogma, Sunna people..

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإن الله تعالى قد أكرم أمّة الإسلام بأن خصّها بأفضل الكتب المنزلة القرآن الكريم، وببعثة أفضل الرسل إليها محمد صلى الله عليه وسلم، وبجعلها خير الأمم إلى يوم القيامة قال تعالى: "**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**" [آل عمران: 110].

وقد اعتنى المسلمون بدء بالصحابة الكرام بالخيرية التي خصهم الله تعالى بها ـ والمتمثلة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ـ أيمّا اعتناء، وحافظوا على الأمانة التي تحمّلوها، فاهتموا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن الكريم وكتابته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسارعوا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى جمع القرآن كاملا بين دفّتين في المصاحف، واتفقوا في عهد عثمان رضي الله عنه على جمع الأمة على حرف واحد نزل به القرآن حتى لا تختلف على كتاب ربّها، كل ذلك في أقل من عقدين من الزمن، بمنهج علمي فريد، لم يعرف له نظير في تاريخ البشرية من

قبل، جَمَع بين الدقّة والأمانة، والحزم والرعاية، والتتبّع والفحص، والصبر والاحتساب، وصار فخرا لهذه الأمة على مدى العصور والأزمان، وليكون القرآن حجة الله الباقية المحفوظة قال تعالى: "**إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون**" [الحجر:9].

كما أولى المسلمون اهتماما عظيما بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تناقلها الصحابة فيما بينهم وبلّغوها لمن بعدهم، وتلقّاها التابعون عنهم مشافهةً وكتابةً بمنهج علمي لم يحصل له مثيل في الأمم السالفة كذلك[2]، حيث تنوقلت السنة عن طريق الرواية بما سمّاه المتخصصون في جمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم بـ "علم الإسناد"، قال عبد الله ابن المبارك رحمه الله: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[3]، كما ظهرت علوم أخرى متممّة لعلم الإسناد لدى المسلمين لحفظ السنة النبوية من التبديل والتغيير، والتحريف والتزوير كعلم معرفة أحوال الرواة، وأسمائهم وألقابهم وكناهم ورحلاتهم وغيرها من علوم الحديث.

وهكذا نشأت علوم أخرى عند المسلمين، سلكوا فيها منهج من سبقهم من الصحابة والتابعين في شتى ميادين الحياة، سواء كانت علمية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو عمرانية، أو إدارية ... إلى غير ذلك من أنواع العلوم والمعارف، تأثرا بالمنهج العلمي الذي دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية من حيث الصدق والأمانة، والدقة والإتقان، والتثبت في الأخبار، والابتعاد عن الظنون والأهواء، وإعمال العقل والفكر، والتأمل في نشأة الخلق، والنظر في سنن الكون، والكشف عن العلل والأسباب، والغوص في الحكم والأسرار، قال تعالى: "**يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**" [التوبة:119]، وقال

(**2**) أسند الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه: "شرف أصحاب الحديث" (ص84 ـ 85) إلى مُحَمَّد بن حاتم بن المظفر رحمه الله قَالَ: "إن الله أكرَم هذه الأمة وشرّفها وفضّلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وتمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوا عن غير الثقات، وهذه الأمة إنما تُنصّ الحديث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتّى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر حتى يهذّبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه ويعدّوه عدا، فهذا من أعظم نعم الله تعالى على هذه الأمة".

(**3**) رواه مسلم في مقدمة الصحيح (15/1).

سبحانه: "**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**" [التوبة:105]، وقال عز من قائل: "**يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا**" [الحجرات:6]، وقال جلّ شأنه: "**وإن الظنّ لا يغني من الحق شيئا**"[النجم:28]، وقال أيضا: "**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النّشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير**" [العنكبوت:20] إلى غير ذلك من الآيات.

وبالتالي تطوّرت المعارف في بلاد الإسلام، وازدهرت حركة التأليف والكتابة، وتناقل المسلمون ذلك الكمّ الهائل من العلوم من بلد إلى بلد، ومن جيل إلى جيل، بضوابط وقواعد تضمن لهم صحة وصول تلك الكتب والمؤلفات إليهم[4] كعلم رواية الكتب وأخذ الإجازة فيها، وفن المقابلة بين النسخ، وإصلاح الخطأ، وعلاج السقط، وحذف الزيادة، وكشف الملتبس، ووضع علامات الترقيم، وبيان الرموز والمصطلحات، وتأليف المعاجم والفهارس والأثبات لوصل المؤلفات بمؤلفيها إلى غير ذلك من العلوم.

والإشكالية المطروحة في هذا المقال كما يظهر من عنوانه؛ ما هي القواعد والضوابط والطرق التي تمكّن الباحثين في مجال تحقيق التراث الإسلامي لكشف هوية مُؤَلِّف مخطوطة مجهولٌ كاتبها؟ وتسهّل توثيق نسبة هذه المخطوطة إليه؟ وخاصة إذا كان موضوع المخطوطة مهمّا، والحاجة إلى إخراجه وطباعته ملحّة.

وتتجلى أهمية هذا الموضوع في كون الكشف عن هذه القواعد والضوابط، والسبل والطرق؛ ييسّر على الباحثين عملية العثور على مؤلفي المخطوطات المجهولة المؤلف، ويزيل عنهم المشاق والصعوبات التي تعتري طريقهم في تحقيق التراث، لأن هذا العمل فن دقيق، يحتاج إلى قوة التأمل، وشدة الدقة، وجلد الصبر على مثابرة البحث، وكما قال د. يوسف زيدان: "هناك ما لا حصر له من صعوبات قد تعترض

(**4**) من تلك المصنفات التي اشتملت على تلك القواعد والضوابط كتاب: "المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي" للرامَهُرْمُزي، الحسن بن عبد الرحمن بن خلاّد (ت360هـ)، وكتاب "تقييد العلم"، وكتاب "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" وكتاب "الكفاية في علم الرواية" كلها للخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت463هـ)، وكتاب "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر المالكي الأندلسي (ت463هـ)، وكتاب "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المالكي (ت544هـ)، وكتاب "الاقتراح في بيان الاصطلاح" لابن دقيق العيد (ت702هـ)، وكتاب "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" لبدر الدين ابن جماعة (ت733هـ) وغيرها من مصنفات أهل العلم والشأن.

عملية توثيق المؤلف، بل إن عديدا من المخطوطات، لمؤلفات غير مشهورة، لا تذكر- أصلا – اسم المؤلِّف، وبالتالي يتعين على المفهرس حتى يوثِّق المؤلِّف المجهول أن يعرفه! وهو أمر ليس بالهيّن في كثير من الحالات"[5].

كما تظهر أيضا أهمية هذا المقال في أن العمل بهذه القواعد فيه إضافة ثمينة للمكتبة الإسلامية، إذ إخراج مثل هذه المخطوطات إلى عالم المطبوعات مما يبعث الاطمئنان في نفوس طلبة العلم والباحثين، ويعزز الثقة لديهم في عظمة معارف أهل الإسلام، ودقة علومهم، وشدّة أمانتهم في إخراج تراثهم.

وأما الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا الموضوع؛

فمنها أسباب موضوعية؛ تكمن أساسا في المساهمة في إيجاد حلول للمشاق التي تعتري الباحثين في مجال تحقيق التراث إذا ما كان المخطوط مجهول المؤلف؟ ولربما كان موضوع المخطوط مما يعالج مشاكل معاصرة فتزداد الحاجة إلى إخراجه إلى القراء في هيئة علمية أصيلة تطمئن نفوسهم في الاعتماد عليه والاستفادة منه والعزو إليه.

وأما الأسباب الذاتية فهي رغبتي في إفادة المشتغلين بتحقيق التراث الإسلامي ما عانيت منه لمدة غير يسيرة للكشف عن اسم مؤلِّف مخطوط مجهول الكاتب، والذي ألفيت محتواه مهمّا جدا، وخاصة أن طرق البحث في عصرنا الحاضر قد تغيّرت وتطوّرت عما كان عليه الأمر من ذي قبل، فالكتابة في مثل هذا المجال لا يقدّر قدرها إلاّ من عانى ذلك في مجال التحقيق.

فالهدف الرئيس الذي قصدته في كتابة هذا المقال هو الوصول إلى بيان القواعد والضوابط والسبل المعينة للمفهرسين والمحققين وطلبة العلم على تخطي مشكلة جهالة مُؤَلِّف مخطوط ما.

ومنهج البحث الذي اعتمدته في هذا المقال هو المنهج الاستقرائي الاستنتاجي، من أجل تتبع أقوال العلماء المشتغلين بمجال تحقيق التراث الإسلامي على وفق ضوابط البحث العلمي الحديثة، وطرقهم في حل مشكلة جهالة المؤلِف، وقد أستعين أحيانا بالمنهج التحليلي لدراسة ما يحتاج إلى مدارسة وتحليل.

(**5**) مقال له بعنوان: "مشكلات توثيق العنوان والمؤلِّف" ضمن ندوة قضايا المخطوطات (2) سنة 1998م (ص128-129).

وللإجابة عن إشكالية هذا البحث جعلت خطة البحث في مقدمة ومطلبين، أما المطلب الأول ففي الجانب النظري المتعلق بالقواعد والضوابط المساعدة لنسبة الكتب إلى أصحابها، والثاني في تجربة عملية في البحث عن نسبة مخطوط لمؤلفه المجهول.

المطلب الأول: النظرية العلمية في تحقيق نسبة مخطوط لمؤلف مجهول.

مما يجدر الإشارة إليه أن المتخصصين في تحقيق المخطوطات متفقون على أن أهم خطوة في تحقيق أي مخطوطٍ هي إثبات عنوانه واسم مؤلِّفه وصحة نسبة الكتاب إلى مؤلِّفه، ومن ثمّ إخراج متنه على الوجه اللائق، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عبد السلام هارون: "الكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه واسم مؤلِّفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلِّفه"[6].

ذلك أن التحقيق هو "أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ، فإن نص الكتاب حكم على المؤلف وتأريخ فكره، وهو كذلك حكم على عصره وبيئته، وهي اعتبارات تاريخية صادقة لها حرمتها"[7].

فليس بالأمر الهيّن أن نؤمن بصحة نسبة أي كتاب كان إلى مؤلِّفه، ولا سيما الكتب الخاملة التي ليس لها شهرة، فيجب أن نعرض هذه النسبة إلى فهارس المكتبات والمؤلّفات[8]، هذا والمؤلِّف معروف مقيّد اسمه في ظاهر النسخة، فكيف لو كان المؤلف مجهولا أصلا؟ لا شك أن المهمة ستكون أصعب وأعقد.

ومتى يُحكم على مخطوطٍ ما أن مؤلِّفه مجهولٌ لا يعرف؟

الأصل في معرفة مؤلِّف مخطوطٍ ما أن يبحث المفهرس أو المحقق له عن اسم مؤلِّفه في المواضع التي يذكر فيها عادة، فينظر في غلاف المخطوط أو الجلد أو الكعب إن كان أثبت عليه اسم المؤلف، فإن لم يجد فلينظر في مقدمة المخطوط أو خاتمته، إذ عادة المتقدمين إثبات السماعات التي تكتب غالبا في أول

(**6**) تحقيق النصوص ونشرها (ص42).

(**7**) تحقيق التراث العربي لعبد المجيد دياب (ص135).

(**8**) انظر تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام محمد هارون (ص45).

المخطوط أو آخره ويصرح فيها باسم المؤلِّف، فإن لم يوجد سماع في المخطوط فليقرأ المقدمة لعلّ أن يذكر المؤلِّف اسمه فيها، فإن لم يجد شيئا من ذلك يدلّه على اسم مؤلِّفه، أو كان المخطوط مبتور الأول والآخر؛ حُكِم عليه حينئذ بالجهالة[9].

ومن هنا كان على المحقق أن يبحث عن اسم المؤلِّف ويُثبت صحّة نسبة المخطوط إليه، وقد وضع المختصون مجموعة من الضوابط والتنبيهات تُعين على كشف هوية مؤلِّف الكتاب، ويمكن إرجاعها في الجملة إلى ثلاثة مسالك[10] :

المسلك الأول: يتلخّص في دراسة نص المخطوط، والتأمّل فيه إذا ما كان يوجد فيه ما يعين على الوقوف على اسم المؤلِّف، أو ما يشير إلى عصره، أو شيوخه، أو تلاميذه، أو بيئته، أو مذهبه، أو إلى شيء آخر يُنطلق منه في الدراسة والبحث.

وليتنبه الباحث أن هذا المسلك ليس له قاعدة مطّردة تضبطه، فلكلّ مخطوط طبيعته الخاصة، ولكل مؤلِّف ميزته الشخصية، فربّ مخطوط يهتدى إلى معرفة مؤلِّفه وإثبات نسبته إليه عن طريق موضوع المخطوط، أو عن طريق نوع ورق المخطوط والخط الذي كتب به، أو عن طريق أسماء الكتب والعلماء المذكورين فيه، أو عن طريق الوقوف على أسماء مؤلّفات أخرى للمؤلف نفسه في ثناياه مذكورة في نص المخطوط، أو بمعرفة أسماء بعض شيوخ المؤلِّف، أو بعض مصنفاتهم التي ينقل منها المؤلِّف المجهول، أو بالاستعانة بالتعليقات الموجودة في الهوامش سواء من المؤلِّف أو من ناسخه، أو بالرجوع إلى خاتمة

(**9**) انظر التعرف على مخطوط مجهول لمليحان بن مرهج الفايد العوني (ص6)، قواعد فهرسة المخطوطات العربية لصلاح الدين المنجد (ص73).

(**10**) أشار إلى المسلكين الأولين عبد السلام محمد هارون في تحقيق النصوص ونشرها (ص44)، والصادق عبد الرحمن الغرياني في تحقيق نصوص التراث بين القديم والحديث (ص90)، ود. فهمي سعد ود. طلال مجذوب في تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق (ص14 وما بعدها)، وصلاح الدين المنجد في قواعد فهرسة المخطوطات العربية (ص73-74)، ومليحان بن مرهج الفايد في التعرف على مخطوط مجهول (ص6-19) .

المخطوط حيث السماعات، أو عن طريق ذكر بعض المعالم المشهورة كالمساجد والمدارس أو الأحداث العظام كالمجاعات أو الأوبئة أو الحروب... التي تحدّد عصر المؤلِّف، إلى غير ذلك من الطرق[11].

المسلك الثاني: الرجوع إلى الكتب التي اعتنت بذكر أسماء الكتب ومؤلفيها أو فهارسها قديما وحديثا، للعثور على اسم المؤلِّف المجهول بالوقوف على اسم الكتاب فيها، وتقييد ما كتب فيها من معلومات حول ذلك العنوان والمؤلِّف والمؤلَّف، ثم عرض ذلك كله على المخطوط المجهول المؤلِّف، مع ضرورة التنبه على أنه قد يتفق عنوان المخطوطين و لا يكون مؤلِّفهما واحدا، فيخطئ من يجزم بأن مؤلِّف المخطوط ـ المجهول المؤلِّف ـ هو الموجود في الفهرس، فلا بدّ حينئذ من دعم ذلك بما سبق ذكره في المسلك الأول في قراءة نص المخطوط إذا كانت المعلومات ضئيلة.

والكتب والفهارس المعينة على كشف أسماء المؤلِّفين المجهولين وعناوين مؤلفاتهم على نوعين:

النوع الأول: مصنفات متخصصة في فهرسة الكتب والتعريف بها.

ككتاب "الفهرست" لابن النديم محمد بن إسحاق (ت438هـ)، و"الفهرس" لمحمد بن خير الإشبيلي (575هـ)، و"كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون" لحاجي خليفة (ت1067هـ)، و"إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون" لإسماعيل باشا البغدادي (ت1339هـ)، وله أيضا "هدية العارفين في أسماء المؤلِّفين"، وكتاب "معجم المطبوعات العربية والمعرّبة" و"جامع التصانيف الحديثة" كلاهما ليوسف إلياس سركيس (ت1351هـ)، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني المغربي (ت1382هـ)، و"معجم المؤلِّفين" لعمر رضا كحّالة (ت1408هـ)، وغيرها كثير جدا[12].

(**11**) انظر الإشارة إلى هذه الوسائل والطرق وغيرها في "مشكلات توثيق العنوان والمؤلِّف" لـ د.يوسف زيدان (ص128-135)، و"التعرف على مخطوط مجهول" لمليحان الفايد (6-18).

(**12**) من المواقع الإلكترونية التي اعتنت بذكر كتب فهارس المخطوطات في العالم الإسلامي وغير الإسلامي "مركز ودود للفهارس وكتب التحقيق" حيث ورد فيه ذكر عناوين أزيد من أربعمائة وخمسين فهرسا مع روابطها على الشبكة العنكبوتية. انظر الصفحة التالية على الرابط:

النوع الثاني: مصنفات عامة.

فإذا لم يقف الباحث على عنوان المخطوط واسم مؤلفه في الفهارس الخاصة الآنف ذكرها فلينظر في الكتب المصنفة في فنون عامة أو خاصة يرد فيها ذكر الكتب ومؤلفيها ومكان وجودها تباعا ككتاب "تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان (ت1375هـ/1956م)، و"الأعلام" لخير الدين زركلي (ت1396هـ)، و"تاريخ التراث العربي" لفؤاد سزكين (ت1439هـ)، وغيرها.

المسلك الثالث: الاستفادة من تقنية الحاسب الآلي والبرامج الإلكترونية ومواقع المكتبات العامة بالشبكة العنكبوتية التي تتيح للباحث إمكانية توسيع دائرة البحث في مصادر ومراجع هي بحجم مكتبات ضخمة، والحصول على نتائج سريعة جدا، فيستفيد الباحث ويوفّر على نفسه جهدا بالغا ووقتا كبيرا، كبرنامج المكتبة الشاملة الإلكترونية، والموقع الإلكتروني للمكتبة الوقفية للكتب المصورة، ومواقع المكتبات والمراكز الإسلامية العامة التي تمكن الباحث الاستفادة منها عن طريق الاتصال الشبكي المباشر بها[13].

فمن آليات استعمال هذه الوسائل الحديثة في البحث العلمي إدخال عبارات مميزة في المخطوط، فيمكن أن يكون الكتاب مطبوعا ويكون اسم المؤلف معلوما لدى محققه.

أو عن طريق إدخال عنوان الكتاب في هذه البرامج أو في محركات البحث على الشبكة العنكبوتية فيتحصل الباحث على جميع المصنفات التي تحمل هذا العنوان، ثم يبحث في تراجم مؤلفيها فلعله يهتدي إلى المخطوطة التي هو في صدد تحقيقها.

هذا ما تيسر بيانه من طرق توثيق نسبة مخطوط ما إلى مؤلفه من الجهة النظرية العلمية، وبقي الآن بيان التجربة الخاصة التي مارستها مع مخطوط مجهول المؤلف وإيضاح الطرق والمسالك التي سلكتها للوقوف على اسم المؤلِّف.

المطلب الثاني: تقنية عملية للوقوف على اسم مؤلف مجهول لمخطوط:

"كشف الغمة عن افتراق الأمة"

(13) أشار إلى هذه الوسيلة الباحث: مليحان بن مرهج الفايد في مقال: التعرف على مخطوط مجهول (ص19)

تبتدئ التقنية العملية التي قمت بها حينما رغبت في البحث عن مخطوط مهم نافع يعالج بعض ما تعاني منه أمتنا الإسلامية سواء في الجانب العقدي أو السلوكي أو الاجتماعي أو التعبدي...، فتوجّهت إلى مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث[14] للبحث عن مخطوط يلبي طلبي، وبعد العمل المستمر في هذا المركز بالتدقيق في فهارسه العلمية والنظر في مخطوطاته المتنوعة المفردة أو المضمّنة في المجاميع؛ وقفت بفضل الله تعالى على مخطوط بعنوان: "كشف الغمة عن افتراق الأمة" مكوّن من ثمانية أجزاء، مختلفة مقدار اللوحات فيما بينها، أصغرها 22 لوحة وأكبرها 71 لوحة، ومجموعها 380 لوحة.

وعند تصفحي بعضا من أجزائه وجدت موضوعها مهمّا للغاية؛ فقد تعرض مؤلّفه لذكر نشأة الافتراق في المسلمين وسببه في آخر الخلافة الراشدة، وما وقع بعد ذلك من الاختلاف والأحداث التاريخية التي صاحبت ظهور فرق عديدة، وما تعلّق بذلك من مسائل عقدية وقع الخلاف فيها بين الفرق، فعندها ازدادت رغبتي في تحقيقه وإخراجه للاستفادة منه وإثراء المكتبة الإسلامية.

وأصل هذا المخطوط موجود بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ورغم أهمية الموضوع الذي تناوله مؤلِّفه، والحاجة الملحة لإخراج مثل هذه المؤلفات العلمية، سيما وأن محنة الافتراق لا زالت الأمة الإسلامية تعاني منها إلى عصرنا الحاضر؛ فلم يحظ هذا المخطوط بعناية الباحثين ولا تمّ تحقيقه كمشروع علمي سواء بصفة آكاديمية أو صفة خاصة.

والسبب في ذلك ـ في نظري والله أعلم ـ يرجع إلى كون مؤلِّف هذا المخطوط مجهول غير معروف، إذ لم يُثْبَت اسمه في جميع أجزائه الثمانية، إذ وُضِع في البطاقات التعريفية بأجزائه بالمكتبة الظاهرية بدمشق في الخانة المخصصة لاسم المؤلف؛ إما: خطاً مائلا (/) أو مستقيما (ـ) أو علامة استفهام (؟) للدلالة على جهالة مؤلِّفها.

(14) مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، بمدينة "دبي" بدولة الإمارات العربية المتحدّة، وهو مركز ثقافي علمي متخصص في جمع التراث الإسلامي والعربي في شتى العلوم.

ومن هنا استعنت بالله تعالى للبحث على مؤلِّف هذا الكتاب وفقا للقواعد المعمول بها في أساسيات علم تحقيق المخطوطات، واتّبعت ما نص عليه أهل الاختصاص في ذلك؛ إلى أن يسّر الله تعالى لي الوقوف على اسمه بفضله ومنّه وكرمه.

وقد تجسّدت خطوات البحث عن اسم مؤلِّف كتاب: "كشف الغمة عن افتراق الأمة" المكوّن من ثمانية أجزاء على النحو التالي:

الخطوة الأولى: سلكت المسلك الأول من مسالك الكشف عن اسم المؤلِّف المجهول، فقرأت مقدمة أجزاء المخطوط الثمانية وخاتمة كل جزء ما عدا الجزء الثامن إذ خلا من خاتمة، ولم أجد فيها ذكر اسم المؤلف، أو سماعات، أو كلاما لناسخ يرشدني إلى اسمه.

غير أن الذي شدّ انتباهي في أثناء اطلاعي على مقدمة أجزاء هذا المخطوط وما اختتمت به وجودُ فهرسٍ لكل جزء من الأجزاء الثمانية ما عدا الثامن منها حيث لم يكمله المؤلِّف، وتبين لي بعد قراءة هذه الفهارس أن موضوع الكتاب يدور حول الافتراق الذي حلّ بالأمة الإسلامية والرد على معتقدات الفرق، حيث ردّ على فتنة المرتدين ومسيلمة الكذاب، وفتنة السبئية، ومقالات الرافضة، والوعيدية، والمرجئة، والقدرية، والمعتزلة، والجهمية.

هذا ما توصلت إليه من خلال قراءة مقدمة كل جزء وخاتمته وفهرسته.

الخطوة الثانية: ثم لجأت إلى المسلك الثالث بالبحث في فهارس الكتب والمؤلفين لكن عن طريق البرامج الإلكترونية الحاسوبية، فكانت النتيجة أن عثرت على أحد الأعلام ذكر في ترجمته في كتاب الأعلام للزركلي (41/4) بأن له مصنفا بعنوان: "كشف الغمة عن افتراق الأمة"، وجاء في ترجمته ما يلي:

"الكنغراوي (... ـ 1349هـ = ... ـ 1931م) عبد القادر بن عبد الله بن عبد القادر الكنغراوي الأصل، الاستانبولي، أبو طلحة صدر الدين، قاضي حنفي، له اشتغال بالتاريخ والنحو، مولده ووفاته في الآستانة، ولي عدّة مناصب قضائية في بيروت، وجدة، ودمشق، وبغداد...، وصنف كتبا بالعربية والتركية، منها: الموفي في النحو الكوفي ـ ط ، رسالة نشر في مجلة المجمع العلمي العربي، و"تاريخ دول الإسلام" ـ خ، و"طبقات المصنفين"، و"كشف الغمة عن افتراق الأمة"، ومات عن نحو سبعين عاما"،

وأحال على المصدر الذي استقى منه الترجمة فقال: "محمد بهجة البيطار في مجلة المجمع العلمي العربي 24: 421".

ثم رجعت إلى الموضع المحال عليه؛ فإذا فيه ترجمة للكنغراوي بقلم العلامة محمد بهجة البيطار[15] رحمه الله، أوردها في تعليقه على رسالة للكنغراوي بعنوان: "الموفي في النحو الكوفي"، وسرد فيها رحمه الله مؤلفات الكنغراوي وكان من بينها هذه المخطوطة حيث قال: "كشف الغمة عن افتراق الأمة: ذكر فيه فتنة المرتدين ومسيلمة، وفتنة السبئية، ومقالات الرافضة، والوعيدية، والمبتدعة من المرجئة، والقدرية، والمعتزلة، والجهمية والرد عليها"[16].

فجاء وصف البيطار لموضوع كتاب "كشف الغمة عن افتراق الأمة" كما هو في المخطوط الذي عثرت عليه: عنوانا عنوانا، مما جعلني أعتقد أني على وشك العثور على مؤلف مخطوط "كشف الغمة عن افتراق الأمة".

الخطوة الثالثة: ومن ثمّ لجأت إلى المسلك الثاني، فرجعت إلى كتب فهارس المؤلفات والمصنفات، وفهارس المصنفين والمؤلفين في القرن الرابع عشر، وكتب تراجم أعلام القرن الرابع عشر، لعلّي أقف على من ترجم للكنغراوي ونسب إليه كتاب: كشف الغمة عن افتراق الأمة أيضا؛ فلم أجد له ذكرا إلا في ثلاثة كتب، وهي: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (190/2)، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري لـ محمد مطيع الحافظ (449/1)، ونثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر ليوسف المرعشلي (783/1)، وكلها اعتمدت على ما أورده الشيخ محمد بهجة البيطار في مقدمة تعليقه على رسالة الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي.

(**15**) هو محمد بهجة بن محمد البيطار الشامي، الجزائري الأصل، العالم الفقيه، والمؤرخ الخطيب، توفي سنة 1369هـ، انظر ترجمته في إتمام الأعلام (ص224).

(16) مقدمة كتاب الموفي في النحو الكوفي ضمن مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (العدد 24 ص422).

الخطوة الرابعة: حينها كان لزاما عليّ البحث على أدلة أخرى تثبت صحة نسبة المخطوط للكنغراوي، فرجعت إلى المسلك الأول من المسالك النظرية في الكشف عن اسم مؤلف مجهول، وشرعت في قراءة متفحصة في المخطوط وتبين لي ما يلي:

ـ أن المؤلف على عقيدة أهل السنة والجماعة كما ورد في ترجمة البيطار له[17] حيث قال في (الجزء الرابع لوحة 15/أ) من "كشف الغمة": "مذهب أهل السنة في الحسين وسط، لا يغلون فيه غلو الشيعة ولا يقصرون فيه تقصير الناصبة، بل يعظِّمون حقه لأنه سبط رسول الله ρ، ويوجبون حبه، ويفضلونه على كثير من أبناء المهاجرين من أهل طبقته ولا يفضلونه على كبار الصحابة".

ـ أن المؤلف حنفي المذهب كما ورد في ترجمة البيطار له[18] حيث قال في (الجزء الثالث لوحة 45/أ) عن مسألة تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما: "وهذا قول الأصحاب الحنفية، فقالوا: تقديم أبي بكر وعمر وتقديم عثمان بعدهما على سائر الصحابة حق لا ريب فيه، وحكاه غير واحد منهم عن أهل السنة والجماعة لا يستثنون".

ـ أن المؤلف ذكر في مصنفه أسماء علماء متأخري الوفاة، كعثمان بن عبد الله الشهير بالعرياني الحنفي (ت1168هـ)، ومحمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي (ت1206هـ)، مما يدل على أن المؤلف عاش في القرن الثالث عشر وربما طرفا من القرن الرابع عشر الهجري، وهذا ما يتفق مع ما ذكره العلامة محمد بهجة البيطار في ترجمته للكنغراوي حيث حدّد مولده سنة 1278هـ، ووفاته سنة 1349هـ.

فهذه أربع معلومات ذكرها محمد بهجة البيطار في ترجمة الكنغراوي دل على صحتها وجودُها كذلك في المخطوط وهي: مذهبه العقدي، ومذهبه الفقهي، والفترة الزمنية التي عاشها، ووصفه لمواضيع الكتاب كما هي في المخطوط.

الخطوة الخامسة: ثم بحثت عن مؤلفات أخرى للكنغراوي لعلِّي أجد فيها ما يثبت لي صحة نسبة المخطوط "كشف الغمة" إليه، فوقفت على مخطوط آخر له بعنوان: "مفاتيح كنوز الإسلام"، ذكر في أول

(**17**) المصدر السابق (العدد 24/ص421).

(**18**) المصدر نفسه.

لوحة منه اسمه ونسبه، وجاء متفقا تماما مع ما ورد في مخطوط "كشف الغمة" من كونه على عقيدة أهل السنة والجماعة وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة فقها، كما أن المخطوطتين متشابهتان في الرسم والشكل، وفي طريقة كتابة الحواشي واللحق، والضرب على ما يراد حذفه، وفي أسلوب التأليف، مما زادني بتوفيق الله وكرمه اطمئنانا بصحة نسبة الكتاب إليه.

وهذا نموذج للمخطوطتين "مفاتيح كنوز الإسلام" و"كشف الغمة عن افتراق الأمة":

صورة من اللوحة الخامسة وجه "أ" من مخطوط مفاتيح كنوز الإسلام.

صورة من اللوحة الثالثة من الجزء الرابع وجه "أ" من مخطوطة "كشف الغمة عن افتراق الأمة"

هذا ما تيسر لي الوصول إليه من نتائج من أجل توثيق نسبة مخطوط "كشف الغمة عن افتراق الأمة" لأبي طلحة صدر الدين الكنغراوي (ت1349هـ)، وهي فيما أعتقد كافية حسب النظريات العلمية في توثيق نسبة الكتب إلى مؤلفيها في صحة نسبة هذا المخطوط إلى الكنغراوي، والله أعلم بالصواب.

الخاتمة:

ختاما؛ لا شك أن عمل فهرسة المخطوطات عمل جبّار، ولا يعرف مدى صعوبته إلا من مارس هذا المجال، بل كما قال د. يوسف زيدان: "لفهرسة المخطوطات مشكلاتها الجمّة التي أدت بالباحثين في ميدان التراث إلى الانصراف عن الدرب الوعر، الذي هو واحد من أكثر الأعمال مشقة وأقلّها مجدا..."[19].

ولذلك كان من الأهمية بمكان، الاعتناء بجانب الفهرسة وإعطاؤها حقها من التقدير والاهتمام، لأن عملية التحقيق العلمي أولا وآخرا عمادها الفهرسة، بل هي الفهرسة كلها، لأن جميع خطوات الفهرسة: من وصف للمخطوط، وذكر لأوله وآخره، وإيراد عدد أوراقه ومسطرته ومقاسها، والتحقق من عنوانه الصحيح واسم مؤلفه؛ هي جميعا عمليات توثيقية لهذا المخطوط، ولا يبقى بعد ذلك سوى خطوة واحدة وهي التصنيف باعتبارها الخطوة الوحيدة التي لها علاقة بمضمون المخطوط[20].

ولست أبعد النجعة في نظري إذا قلت: إن عمل المفهرس لا يقل أهمية عن عمل المحقق له فضلا عن طابعه، بل لولا تيسير الله تعالى ثم عمل المفهرس الجاد في وصف المخطوطات وفهرستها لما اهتدى المحقق إلى المخطوط، ولَمَا نَعِم القرّاء بالاطّلاع عليه والاستفادة منه.

هذا ما تيّسر بفضل الله كتابته حول جانب توثيق نسبة المخطوط إلى مؤلف مجهول بين نظرية العلم وتقنية العمل، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(**19**) مشكلات توثيق العنوان والمؤلّف، ضمن ندوة قضايا المخطوطات (2) سنة 1998م (ص117)

(**20**) انظر المصدر السابق.

فهرس المصادر والمراجع:

مؤلفات:

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت463هـ)، (نشر سنة 1417هـ/1996م)، شرف أصحاب الحديث، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة العلم، جدة المملكة العربية السعودية.

الحافظ، محمد مطيع، وأباظه، نزار، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري نشر دار الفكر.

دياب، عبد المجيد، (سنة 1993م)، "تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره"، نشر دار المعارف، القاهرة مصر.

الزركلي، خير الدين، (سنة 2002م)، "الأعلام"، نشر دار الملايين، بيروت لبنان.

الغرياني، الصادق عبد الرحمن، (سنة 1989م)، "تحقيق نصوص التراث بين القديم والحديث"، نشر مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا.

فهمي سعد، وطلال مجذوب، (سنة 1413هـ/1993م)، "تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق"، نشر عالم الكتب، بيروت لبنان.

القشيري، مسلم بن الحجاج، (نشر سنة 1412هـ/1991م)، مقدمة صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية للحلبي وشركائه.

كحالة، عمر رضا، (سنة 1414هـ/1993م)، "معجم المؤلفين ـ تراجم مصنفي الكتب العربيةـ"، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.محمد هارون، عبد السلام، سنة 1418هـ/1998م، تحقيق النصوص ونشرها، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة مصر.

الكنغراوي، عبد القادر بن عبد الله، (سنة 1368هـ/ 1949م)، "الموفي في النحو الكوفي"، مجلة المجمع العلمي العربي دمشق، (العدد 24).

المرعشلي، يوسف، (سنة 1427هـ/2006م)، "نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر"، نشر دار المعرفة، بيروت لبنان.

المنجد صلاح الدين، (سنة 1396هـ/1976م)، "قواعد فهرسة المخطوطات العربية"، نشر دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان.

نزار أباظه ومحمد رياض المالح، (سنة 1999م)، "إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)"، نشر دار صادر، بيروت لبنان.

مداخلات:

زيدان، يوسف، (عام 1998م)، مداخلة بعنوان: "مشكلات توثيق العنوان والمؤلِّف"، ندوة قضايا المخطوطات "2"، نشرت ضمن كتاب: فن فهرسة المخطوطات مدخل وقضايا، تنسيق وتحرير د. فيصل الحفيان، نشر سنة 1420هـ/1999م، معهد المخطوطات العربية، القاهرة مصر.

موقع أنترنت:

الفايد العوني، مليحان بن مرهج، "التعرف على مخطوط مجهول"، **http://cp.alukah.net/Books/Files/Book_6952/BookFile/makhtot.doc**